AL-QALAM International Online Journal of Arabic Language Studies
Faculty of Islamic Studies, The National University of Malaysia
https://www.ukm.my/alqalam/
Vol. 1 No. 1 (2021)

العمل الإبداعي وتنمية مهارة التذوق الأدبي لدى المتعلم

أسامة الدواح[١] وعبد الإله قيدي[٢]

[٢،١] جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس
المملكة المغربية
Oussama.douah@usmba.ac.ma

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى كشف اللثام، عن موضوع أثار شهية مداد الباحثين والدارسين، المهتمين بحقل النقد الأدبي ونقد الأعمال الأدبية والإبداعية عبر تذوقها، حيث سلطت الضوء في محاورها على ربط عملية التذوق الإبداعي بمهارات المتعلمين، وأنشطتهم الصفية المتعلقة باللغة والأدب وتذوقهما. فالأدب بوصفه فرعا من فروع اللغة العربية، يحتل منزلة خاصة في هذا المقام، فهو يوسع نظرة الناشئين إلى الحياة، ويسمو بعواطفهم، ويبصرهم بقيم المجتمع ومشكلاته والنهوض به، فضلا عن أنه يهذب ميول الناشئة ويصقل أذواقهم بتنمية القدرة على الفهم والحكم والموازنة والنقد والتفاعل مع المقروء وتكوين الميل إلى الجميل والتمتع به، كما هو الحال في الفنون الجميلة. فالتذوق الأدبي مفهوم متعدد الدلالات والمعاني، فهناك من يرى أنه إحساس القارئ أو السامع بما أحسه الشاعر أو الكاتب أو القاص، وهناك من يعرفه بأنه نوع من السلوك، ينشأ من فهم المعاني العميقة في النص الأدبي، والإحساس بجمال أسلوبه، والقدرة على الحكم عليه بالجودة أو الرداءة، وهناك من يعرفه بانفعال يدفع الفرد إلى الإقبال على القراءة، أو الاستماع في شغف وتعاطف، وإلى تقمص الشخصيات التي في الأثر الأدبي، وإلى المشاركة في الأحداث والأعمال والحالات الوجدانية التي تصورها الأديب.

الكلمات المفتاحية: تذوق، العمل الإبداعي، مهارة، تنمية

Abstract: This study seeks to uncover the subject of appetite for researchers and scholars interested in a field Literary criticism and criticism of literary and creative works through their tasting, highlighting across their various axes to link creative tasting to learners' skills, language, and literature class activities. The Literature, as a branch of the Arabic language, occupies a special place among its branches. It expands the vision of young people to life, transcends their emotions, and perceives them with the values, problems and advancement of society, In addition, it politest emerging tendencies and improves their tastes by developing understanding, governance, balance and criticism. Literary

taste is a multi-semantics concept. There are people who see it as the reader's or the listener's sense of what I feel.

Keywords: Taste, creative work, skill, development

مقدمة

لقد وجه العلماء والأدباء والمدرسون عناية كبيرة في "دراسة اللغة العربية إلى التذوق الأدبي، وكتب الأدب والنقد وتاريخ الأدب مملوءة بإشارات إلى هذه الأهمية في دراسة أي عمل أدبي شعريا كان أو نثريا، فهو يعتبر هدفا من الأهداف اللغوية، وله نصيب كبير من العناية في التوجيهات الخاصة بتدريس الأدب والبلاغة، أي أنه أساس في الدراسة الأدبية وروحها، ويحسن أن نلاحظ أن للجمال الفني الأدبي معارض شتى وآفاق واسعة، وأوسع من الأنواع البلاغية".[١]

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الموضوع، كونه يزيح الستار عن بعض أهداف تدريس الأدب كفرع من فروع مادة اللغة العربية، التي تتمركز حول تكوين الذائقة الأدبية لدى المتعلمين، والتي من شأنها أن تنعكس على سلوكياتهم العقلية والوجدانية. وكذا باعتبار الأدب -انطلاقا من أهميته- يمثل مصدرا للجمال، وقناة من قنوات ربط الأزمنة والثقافات بعضها ببعض.

فرضيات الدراسة

- التذوق الأدبي إثارة لرغبة وقريحة القارئ تجاه العمل الإبداعي.
- لا يمكن المرور على النص الأدبي، دون معرفة خباياه، والتجوال في فضاءاته والعيش في عوالمه.
- من إيصال مهارات التذوق الأدبي للمتعلمين والعمل على تنميتها.

وفي هذا السياق يمكن القول، إن التذوق الأدبي هو الحصيلة النهائية من دراسة الأدب والبلاغة والنقد، وإنه لا يأتي اعتباطيا، وإنما يحتاج إلى ثقافة عامة ومعايشة لروائع الأدب وممارسة للنصوص بالإضافة إلى الثقافة اللغوية، حتى يتحقق للمتعلم ذوق أدبي رفيع، وذوق إبداعي، يمكنه من الاستمتاع بجمال الأدب وروعته.

[١] – مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد، حسين حسن قطاني: في تذوق النص الأدبي: دار الصفاء للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، ص:٢٩.

منهج الدراسة

إن طبيعة الدراسة حددت المنهج التكاملي منهجا مناسبا لها، وذلك انسجاما وعطفا على مقولة:" طبيعة الموضوع تحدد طبيعة المنهج".

هذا، ويعتبر التذوق الأدبي كذلك، بمثابة "شهادة من الثقافة الصحيحة للشخص، وهواية خاصة له، فأستاذ الرياضيات مثلا، ضالع في تخصصه ومحترف في ألعاب الذكاء كالشطرنج، لكنه يقول: نعم، يجب أن أتناول وأتذوق الأدب.."[٢].

إشكالية الدراسة

تسعى كل دراسة للإجابة عن إشكالية رئيسية وأساسية، وذلك بطرح أرضية غنية بالأفكار والمعطيات تحاول الإحاطة بجوانب الدراسة وملامسة كبد الصواب فيها، عبر عرض مختلف الآراء والتصورات التي اهتمت بالبحث في الموضوع والإسهاب فيه. وتبقى هذه المحاولة غيض من فيض، سعت لتسليط الضوء على هذه القضية الأدبية- التربوية، وأهم إشكالية حاولت الدراسة الإجابة عنها:

- ما هو الدور الذي يضطلع به المبدع في تنمية مهارة التذوق الأدبي لدى المتعلم؟

أولا: المبدع وتذوق العمل الإبداعي

يعتبر العمل الأدبي عملا إبداعيا محضا، وتعبيرا عن تجربة شعورية في صورة موحية، فالتجربة الشعورية التي يعيشها الأديب تدفعه للتعبير عنها في صورة أو في شكل تعبيري ذو دلالة، وذلك بغية التأثير في المتلقي، وجعله يعيش اللحظة الإبداعية باستمتاع.

ويعد العمل الأدبي "حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي وبالتالي فهما شريكان فيه، وإذا كان التذوق في جوهره عملية اتصال تقتضي وجود طرفين: أحدهما المرسل والآخر هو المتلقي، فإن العمل الأدبي يأخذ شكل دورة تنتقل من ذهن القارئ الذي يعيد فيها وبطريقة عكسية أدوار التخلق الكامل للنص الأدبي".[٣]

فإن العمل الإبداعي في بداية أمره يكون مجرد فكرة، أو خاطرة، أو حلما من الأحلام الخيالية، بعد ذلك يبدأ في التشكل والنمو والتخلق وفق دافعية تجعله يتحد إما برمز، أو بصورة، أو إيماءة، حيث

[٢] Arnold Bennett ; Literary Taste How to Form It With Detailed Instructions for Collecting a Complete Library of English Literature The University of Adelaide Library. p :3.

[٣] – ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته– نظرياته–مقوماته– معايير قياسه، دار الفكر عمان، الطبعة الثالثة ٢٠١١–١٤٣٢، ص:١٢٦.

يبحث المبدع عن المفردات والجمل والتراكيب المناسبة والمعبرة عن الفكرة التي تجول في خاطره، فإذا سجل الكاتب ذلك في نص مكتوب دخل في دورة العمل الأدبي، فكل ما مر منه الكاتب المرسل من مراحل هو بعينه الإبداع، وهذا الأخير "يمر بمجموعة من العمليات الذهنية والعقلية".[٤]

إذن، فما الإبداع؟ ومن هو المبدع؟ وما هي أهم مراحل العملية الإبداعية؟ وما هي أبرز خطوات التذوق الأدبي عند المبدع؟

- المبدع والإبداع:

من المعلوم أن المبدع هو ذلك الشخص الذي يفكر تفكيرا إبداعيا، وينتج عن عملية تفكيره عمل إبداعي، وكما يذكر عنه بيكاسو" وعاء مليء بالانفعالات التي تأتيه من كل المواقع، من السماء والأرض، من قطع الورق ومن شكل عابر، أو من نسيج عنكبوت، والمبدع يودع ما يرى أو يسمع أو يقرأ ليتخفف من وطأة الانفعالات وازدحام عقله بالرؤى".[٥]

والإبداع بهذا المعنى تجل من تجليات الفكر الخصب، " فلم يعرف "شكسبير" مثلا بهاملت وحده، ولكنه كتب الملك هنري الرابع، والملك لير، وعُطَيل، وماكبث، بالإضافة إلى العديد من المسرحيات والقصائد، كل منها يزخر بفيض من الصور النفسية والوجدانية"[٦]، فالمبدع هو في آخر المطاف ذات منتجة، وإنتاجه مثلا للنص الأدبي هو إنتاج لفكر فذ، وتفريغ لمستخلصات العملية التفكيرية.

يعتبر المبدع ذلك الشخص القادر على إنتاج أعمال "غير مألوفة ولا معتادة لدى الكثيرين، كما أن لديه القدرة على الربط بين مجموعة من العناصر برابطة غير تقليدية أو غير شائعة، فضلا عن أن يتسم بمجموعة من السمات والخصائص لا يؤتاها إلا القليلون"[٧]. فالإنتاج الإبداعي هو نتاج غير عادي، يمكن تصنيفه في أصناف اللامألوف وغير اعتيادي.

وكذلك فإن ما يميز المبدع هو استعانته ببوصلة تشد اتجاهه الإبداعي، وله القدرة على تحرير قيود نفسه وفك وثاق فكره من الرتابة الجامدة، "ولا مناص للمبدع من القراءة والتتبع ليرفد عبقريته، ويشحذ موهبته، ويغني آفاق قدرته".[٨]

---

[٤] – نفس المرجع والصفحة.

[٥] – عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، الدار العربية للعلوم، ط١، ١٩٩٥م- ١٤١٦هـ، ص: ٣٢.

[٦] – نفسه، ص:٣٣.

[٧] – ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته- نظرياته-مقوماته- معايير قياسه، مرجع سابق ص: ١٢٩.

[٨] – عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، مرجع سابق، ص:٣٣.

وهذا مثال واضح وحي يؤكد القدرة الهائلة التي يمتلكها شخص المبدع، ويتفرد بها عن غيره، " فتوفيق الحكيم يقارن في إحدى قصصه بين الطريقة التي يقرأ بها الأدب، والطريقة التي كانت تقرأ بها بطلة إحدى قصصه نفس القراءات فيقول: (إنها تتم قراءة التمثيلية في ساعة واحدة، وأنا الذي أقرؤها في يومين أو ثلاثة، لكن هماك فرقا واسعا بين قراءتي وقراءتها، إنها تقرأ للحكاية في ذاتها، أما أنا فلا تعنيني حكاية الكاتب بل يعنيني فنه، وسر صناعته وطريقة أسلوبه في البناء وخلق الشخصيات ونسج الجو وإحداث التأثير، إنني أعيد قراءة الفصل الواحد بل الصفحة الواحدة مرات ومرات)".[٩]

فالعمل الأدبي "يتميز بالاستمرارية والأصالة، والمناسبة وفقا لمِحَكَّات المجال موضع النظر"[١٠]، ففي الإبداع تتجلى القدرة على تخطي حدود الذات إلى آفاق أوسع وأرحب، لتشكل مرحلة استثنائية يمكن وصفها إن صح التعبير بالخارقة.

وبما أن الشخص المبدع حسب "فان جوخ" إنسان يتآكل قلبه من فعل ظمئه الشديد للعمل الإبداعي، فقد ارتبط إبداعه من الناحية السيكولوجية "باحتدام عواطفه التي تتأجج داخله، وتبغ حد الإلهام، فتصل عنده إلى قمتها، فتشرق الفكرة فجأة على ذهنه، ولابد للفكرة الإبداعية من معين تمتح منه، ولكن الإبداع في صياغتها هو الأساس".[١١]

فللمبدعين بصفة عامة مجموعة من الخصائص والسمات الفارقة التي تميزه عن غيره، منها الخصائص المعرفية والعقلية، وكذلك الشخصية بالإضافة إلى الخصائص التطورية.

وتتجلى الخصائص المعرفية في " الذكاء المرتفع، والأصالة وقوة البيان، والطلاقة اللفظية، ثم الخيال الواسع بالإضافة إلى القدرة على التفكير المجازي، والمرونة، والمهارة في اتخاذ القرار، ثم القدرة على التفكير المنطقي"[١٢]. بالإضافة إلى ثلة من الخصائص الأخرى العديدة التي لا يتسع المجال لذكرها والتفصيل فيها. وكما ذكرنا سلفا هناك أيضا الخصائص الشخصية والدافعية التي تكمن في " المثابرة والميل للبحث، والتحقيق، وحب الاستطلاع، والتنظيم الذاتي، ثم الدافعية الداخلية".[١٣]

ثم الخصائص التطورية التي تتجلى في مصاحبة الكتب، وبذل مجهود في ميدان التخصص...إلخ

[٩] – عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، مرجع سابق، ص:٣٣-٣٤.

[١٠] – ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته- نظرياته-مقوماته- معايير قياسه، مرجع سابق، ص:١٢٨.

[١١] – عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، مرجع سابق، ص:٣٤.

[١٢] – ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته- نظرياته-مقوماته- معايير قياسه، مرجع سابق، ص: ١٢٩-١٣٠.

[١٣] – نفسه ص: ١٢٩-١٣٠.

إذن ومن خلال ما سبق، نستنتج أن المبدع هو شخص موهوب في مجال ما يحبه، ويستهويه هذا المجال، فتعريفات المبدع كثيرة ومتنوعة، وهناك من يستعيض عن وضع تعريف جامع مانع له بوضع بعض السمات والمميزات التي تميز المبدع الأدبي ولعلها:"

- توليد أفكار جديدة وجيدة.
- اكتشاف علاقات جديدة بموقف ما.
- إعادة بناء وصياغة العمل الأدبي.
- الحرص على الصدق الفني في العمل الأدبي.
- غلبة تفكير الناقد على تفكيره.
- رهافة الحس والشعور.
- حسن التأليف بين المفردات، وبين الجمل، وبين التراكيب...إلخ".[١٤]

- مراحل العملية الإبداعية:

لا يخفى على ذي العقل الرصين، أن العمل الأدبي يهدف إلى تصوير المشاعر والأحاسيس الجياشة بغية التأثير في المرسل إليه أو المتلقي، فهو ليس بالعمل العفوي التلقائي Spontané، وليس بالعمل السهل واليسير كما يُتصور، إنه يمر بمجموعة من المراحل حتى يتشكل على هيئة كائن ينبض بالروح المفعمة والحيوية النشطة.

من هنا تجدر الإشارة إلى أهمية هذه النقطة في مبحثنا هذا من الفصل الأول، باعتبارها معينا لفهم الإشكالية المتعلقة بكيف يتذوق المبدع العمل الأدبي؟ حيث إن العملية الإبداعية تمر بمجموعة من المراحل والخطوات من أهمها:

- مرحلة الإعداد والتحضير:

يفهم من هذه الخطوة" أن أي عمل إبداعي يتطلب تحضيرا واعيا وقويا لفترة طويلة، وهذا التحضير يكون عاما وخاصا، فالعام يتعلق بالاختصاص، بينما الخاص فهو يرتبط بالمشكلة المبحوثة مباشرة،

[١٤] – نفسه، ص: ١٣٢.

والتي يفترضها الباحث ويحاول البحث عن حل لها، لذا ينبغي عليه القراءة كثيرا ويتصل بالآخرين ممن يعملون في الإطار نفسه.

- مرحلة البزوغ أو التفريغ:

يمكن لهذه المرحلة أن تستمر لفترة طويلة وقد تستغرق في أحيان أخرى لحظات أو دقائق أو أياما، وحتى شهورا أو سنوات، وقد يظهر الحل فجأة في الوقت الذي تكون فيه المشكلة فنية، ويعبر بعض العلماء (بوانكاريه وهلمهولتز وآخرين) أن الحل قد يظهر فجأة عبر الصياغة اللاواعية، حيث يأتي الحل من دون عناء من تلقاء نفسه.

- مرحلة الاستبصار أو الحدس:

تعني هذه المرحلة الوصول إلى الذروة في العملية الإبداعية، حيث تظهر الفكرة كأنها قد نظمت تلقائيا، دون تخطيط.

- مرحلة التخطيط:

هي المرحلة الأخيرة في العملية الإبداعية، وتتضمن المادة الخام الناتجة من البحث السابق، ويتعين على المبدع أن يختبر الفكرة المبدعة، ويعيد النظر فيها، ليرى هل هي فكرة مكتملة ومفيدة، أو تتطلب شيئاً من التهذيب والصقل، وبعبارة أخرى هي مرحلة التجريب للفكرة الجديدة المبدعة.

هذه المرحلة هي الفيصل بين الإبداع المجرّد وبين الابتكار الموفّق، إن الأفكار الجديدة تتطلب الحركة، و الإصرار العنيد والمقدرة على بناء التأييد للتغيير وتسليك الفكرة وتجميلها في أذهان المشكّكين، فأهم ما تحتاجه الأفكار الجديدة هو الشجاعة، والمثابرة ".[١٥]

والخطوات سالفة الذكر هي الخطوات التي أشار إليها "تايلور Taylor سنة ١٩٧٥، تحت عنوان (خطوات العملية الإبداعية) وهي:

- فترة العمل الذهني
- فترة الاحتضان
- فترة الإشراق

[١٥] – ألكسندر روشكا (١٩٨٩) الإبداع العم والخاص، عالم المعرفة، عدد١٤٤، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص:٤٢-٣٨.

- فترة الوصول إلى التفاصيل وتقنية التفكير".[١٦]

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة، إلى أن العرب كان لهم قصب السبق في هذا المضمار أيضا، حيث أشار العلامة ابن خلدون إلى أن" لعمل الشعر –نص إبداعي أدبي- مراحل أساسية وجب المرور منها وهي:

- مرحلة الإعداد:

تتمثل في الإعداد لنظم الشعر، وذلك عن طريق الحفظ الجيد من أشعار أعلام الشعر العربي على مدار تاريخنا الأدبي، مثل شعر جرير وابن أبي ربيعة...

- مرحلة البزوغ:

وهي المرحلة التي يظهر فيها العمل الشعري كائنا مكتملا، في هذه المرحلة بالذات يعيد الشاعر النظر في عمله وينقحه تنقيحا، فشعر الشاعر هو من بنات أفكاره، فالإنسان يُفتتن بشعره، وهذا الافتتان يحجب عنه ما قد يسقط فيه من سقطات وهنات.

- مرحلة التحقيق:

وهي المرحلة التي يكتمل فيها العمل الأدبي، وذلك بعد أن يكون قد سيطر على المبدع، واستولى على إحساسه وشعوره، يقوم هذا المبدع بالكتابة مرتبا الفكر، مختارا اللفظ المعبر عما يريد، بحيث يمكن إخراج الصورة المعقولة في شكل مادي ملموس".[١٧]

ثانيا: اللغة العربية وتنمية مهارات التذوق الأدبي

تعتبر اللغة جوهر التفكير ووعاءً له، إذِ التفكير في حقيقته عملية ذهنية لا تتم بدون اللغة، وقد أثبتت الأبحاث والدراسات، أن التمكن من اللغة وتذوقها، له ارتباط وثيق بالقدرات العقلية، وبالقدرة على الفهم والإفهام، وبالتحصيل في كل نواحي المعرفة والفكر والثقافة.

[١٦] – يوسف قطامي: تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه، عمان الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع ط١، ص: ٦٦٦.

[١٧] – ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته– نظرياته–مقوماته– معايير قياسه، مرجع سابق، ص: ١٣٥–١٣٦.

ومن أبرز وظائفها التواصل، إبلاغ رسائل وحاجيات المتخاطبين إلى المتلقين للخطاب. "فهي تقوم بوظيفة التواصل والتبليغ والإخبار من خلال إيصال مراد المتكلم إلى المخاطب من أفراد العشيرة اللغوية التي ينتمي إليها ذلك المخاطب وفق التعاقد التخاطبي الجامع بين المخاطب والسامع..."[١٨].

من هذا المنطلق تبزغ أهمية اللغة العربية من حيث هي قوام الفعل التعليمي-التعلمي- في منظومتنا التربوية عامة، وكذا في النهوض بفكر المتعلم، وتنمية ذوقه الأدبي والفني.

ومع تطور وسائل المعرفة والتحصيل الحديثة، واتساع دائرة البحث عن المراجع الأدبية والعلمية المختصة، باتت تواجه مناهج التعليم تحديات كثيرة وعميقة، وأصبحت لها رهانات مستقبلية بعيدة المدى، تطلبت توطيد صلتها بهذه المعارف وتنويع وسائل التحصيل والبحث، "حيث صار من اللازم على الموجهين والأكاديميين في الجامعات والمدارس، التعرف على مختلف المعارف، والإبحار في تخصصات متنوعة للاستفادة والنهل منها، وذلك بغية توسيع رقعة العلم، والاستمتاع بمزاياه الغنية، العمل على توفير مساحة أكبر لتنمية الحس والوعي النقدي التذوقي".[١٩]

فالحديث عن المنهاج كمفهوم عام، يتسم ببعض من اللبس والغموض، وللتفرقة بين المنهاج وبعض المفاهيم المقترنة به والقريبة منه، وجب الإحاطة بالمفهوم، وتعريفه لتتضح الصورة بشكل جلي.

فالمنهاج ويقابله Curriculum يعرف عادة بأنه: "خطة عامة تنظم عملية التدريس، وهو يشمل بالدراسة المدخلات والمخرجات، وما بينهما من عمليات تربوية أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، وهو أيضا، سلسلة من الوحدات، موضوعة بكيفية تجعل تعلم كل وحدة يمكن أن يتم انطلاقا من فعل واحد، شريطة أن يكون التلميذ قد تحكم في القدرات الموصوفة في الوحدات المخصصة السابقة داخل المقطع."[٢٠]

وبالتالي، فالمنهاج الدراسي هو خطة عمل متصلة بتنظيم الأهداف والمضامين والأنشطة التعليمية والأدوات الديداكتيكية، وطرق التعليم والتعلم وأساليب التقويم، وما يعيشه المتعلم داخل القسم وخارجه من علاقات وتفاعلات.

هذا، ولقد حظيت المناهج التعليمية في المغرب باهتمام كبير في العقود الأخيرة، مكنها من التطور والتجديد، ومواكبة ركب التقدم والنماء، فالتحول الذي يرتبط بالمنهاج "يتمثل في التحول بشقيه

---

[١٨] – محمد الأوراغي: اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص٦٨.

[١٩] – عثمان حسن: أهمية التذوق الأدبي، مقالة نشرت في جريدة الخليج، بتاريخ:١٤/١٠/٢٠١٣.

[٢٠] – عبد الكريم غريب، عبد اللطيف الفاربي. عبد العزيز الغرضاف.محمد أيت موحى معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، منشورات عالم التربية، سلسلة علوم التربية ٩-١٠، ٢٠٠١.

الكمي والنوعي الذي مس بنيتها، بحيث لم تعد مفهوما محصورا- مثلما اطرد لوقت طويل- في المقررات الدراسية وفقراتها، أو مضامين ما يدرس للتلاميذ حسب المستويات التعليمية، والمختصرة في جداول استعمالات الزمن الأسبوعية –وفق تعبير بعض الباحثين- فقد كانت وحدها محورا للنقد، مثلما كانت المقصودة من التطور والتجديد".[٢١]

لقد تبنى المغرب المقاربة بالكفايات، التي جاءت كردة فعل على المقاربة بالأهداف، في إطار ورش يضم مشاريع لإصلاح قطاع التربية والتكوين، واعتمد المنهاج الدراسي للغة العربية على مبدأ الوحدات، ومبدأ التكامل الداخلي بين مكونات مادة اللغة العربية، ومبدأ الكيف ومبدأ التدرج والاستمرارية، والتركيز على الحس المهاري لدى المتعلم، بدل الاعتماد على الشحن والإلقاء، وقد تم تنويع الوضعيات التعليمية والأنشطة خلال إرساء الموارد وإدماجها أو تقويمها ودعمها، وهو ما يسمى في البيداغوجيات الحديثة بمبدأ التنويع البيداغوجي والديداكتيكي.

وانطلاقا من كون التعليم الطريق الأسلم لتحقيق الإبداع، وتنمية ملكات المتعلم التذوقية والنقدية وتطويرها، فالملاحظ اليوم، هو هذا التضارب والاختلاف حول أهمية الإبداع ومدى مستويات حضوره في الممارسة التعليمية في مادة اللغة العربية، " يمكن أن يكون السبب راجع في ذلك إلى تباين وجهات النظر حول مفهومه وشروط تحقيقه والعوامل الفاعلة فيه وأشكال تجلياته".[٢٢]

فالتذوق الأدبي من الوسائل التي تساعد على تنمية الحس لدى المتعلم والقارئ عموما، مرتبطاً باللغة وقراءة النص قبل الحكم عليه، والتدريب على الموضوعية في نقد النص والمقارنة بين النصوص، فإنه - أي التذوق الأدبي- أحد المجالات الأكثر تطبيقاً على الشعر الذي له علاقة وطيدة بالتخييل، ذلك أنه "مفتاح تحليل الحركة النفسية للقصيدة، لإدراك مدى أهمية الكلمة فيها، بل لاستقراء الوحدة العضوية، وفهم مكونات الصورة الشعرية ومدى قدرتها على التعبير عن أحاسيس الشاعر" .[٢٣]

وحسب الباحث التربوي عبد الكريم غريب، فإن التذوق الفني "يفيد القدرة على الإحساس والشعور بالعمل الفني، وإدراك قيمته الجمالية، واكتشاف معالم الإبداع وسماته، ويمثل التذوق الجمالي محور المعايشة الجمالية التي تتولد بين المتلقي والأثر الجمالي" .[٢٤]

[٢١] – الزاوي التادلي: أي دور للمناهج التعليمية المغربية في تنمية الإبداع لدى المتعلم، حالة الابتدائي أنموذجا، مجلة علوم التربية، العدد٦٧، يناير ٢٠١٧ المغرب، ص١٩.

[٢٢] –نفسه، ص: ٢١.

[٢٣] – عثمان حسن: أهمية التذوق الأدبي، مرجع سابق.

[٢٤] – عبد الكريم غريب: مستجدات التربية والتكوين، منشورات عالم التربية، ص٤٠٧.

وما يهمنا في بحثنا الذي نحن بصدده، تسليط الضوء على هذا الأثر الجمالي في النصوص الأدبية سواء النثرية أو الشعرية المدرجة في الكتاب المدرسي للغة العربية في المستوى الإعدادي، على اعتبار الكتاب المدرسي وسيلة ديداكتيكية وعدة معرفية تربط العلاقة بين أطراف العملية التربوية في شقيها التعليمي التعلمي.

ثالثا: مهارات التذوق الأدبي وأساليب تنميتها

وكما سبق الذكر، فإن ملكة التذوق لا تحدث بمعرفة طائفة من القواعد والقوانين التي اكتشفها أهل البيان، ولكنها تكتسب بممارسة الكلام الجيد، والتفطن لخواصه ومزاياه، مع توفر الاستعداد، واستجابة الطبع، فالممارسة والدربة شرطان أساسيان لتنمية هذه الملكة ودعمها وتطويرها. فعملية التذوق الأدبي تتكون من عدة عناصر تشكل في مجموعها منظومة أو نسق مترابط من الأفكار والألفاظ والتراكيب، والعاطفة، والخيال، ثم الموسيقى والصور الأدبية. على اعتبار النص الأدبي" مجموعة من المقومات أو اللبنات التي يقوم عليها أي عمل، وتختلف من فن لآخر حسب طبيعة هذا الفن".[٢٥]

ومن بين الفضاءات الحيوية التي يتم فيها صقل ملكة التذوق الأدبي وتنميتها، المدرسة. بمحيطها التعليمي التعلمي النشط، وتعد "الأنشطة التعليمية من الوسائل المهمة في نجاح العملية التعليمية التعلمية، لما لها من ارتباط وتأثير شديدين على مختلف جوانبهما، إنها مهمة لكل من المدرس والتلميذ، ففي طريقها يستطيع المدرس معرفة المستوى الفعلي للتلاميذ قبل الشروع في تدريس المقرر، كما تحقق هذه الأنشطة أهدافا معرفية ومهارية ووجدانية".[٢٦]

كما تسهم هذه الأنشطة كذلك بدورها الفعال في تنمية مهارات التذوق الأدبي لدى المتعلمين، وذلك " بعد أن يقرأ التلميذ النص الأدبي، ويفهم معناه ويفسر غموضه"[٢٧] ، فالفهم مفتاح سحري لتذوق النص الأدبي، ولا يصل التذوق إلى المتلقي إلا إذا فهم، وأدرك العلاقات والارتباطات بين مكونات العمل الأدبي، وأدرك أسرار جماله ومواطن ضعفه وقوته.

ويمكن القول، إنه ليس للأدب بمعناه الخاص مقياس موضوعي يقاس به مقدار ما به من جمال، بل يرجع تقديره إلى متذوقه الذي يدركه ويفهمه ويعي مقدار حساسيته، وعليه، يتبين أن مقياسه ذاتي،

[٢٥] – ماهر شعبان عبد الباري: التذوق الأدبي طبيعته– نظرياته– مقوماته– معاييره– قياسه، مرجع سابق، ص:١٤٧.

[٢٦] – بدر بن علي أحمد الخيري: تقويم نشاطات التعلم في مقرر لغتي الخالدة في ضوء مهارات التذوق الأدبي، بحث لنيل شهادة الماجستير في المناهج وطرق التدريس، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، ص:٥.

[٢٧] – نفس المرجع السابق، والصفحة.

مرتبط بالمتلقي نفسه، كمقياس تذوقه للحن الموسيقي، أو للفن التشكيلي والفوتوغرافي، "وإن كانت الدراسات التي أجريت في الفنون المختلفة الأخرى تفيد أن معظم الخبراء متفقون في تقديرهم للجميل من الأدب وغيره من الفنون، وقد خرجت هذه الأمور من دائرة التنظير ونزلت إلى ميدان الواقع الفعلي عندما حاول الباحث رشدي طعيمة من خلال دراساته في هذا المجال، أن يجل للتذوق الأبي ومظاهره المتعدد معايير موضوعية يمكن الحكم بها على مدى القدرة على تذوق نواحي الجمال المختلفة سواء في الشعر أو النثر".[٢٨]

هذا ولقد تناولت عدد من الدراسات مهارات التذوق الأدبي وخلصت إلى أن المهارات الأساسية له كما أشار إليها بعض علماء النفس اللغوي والنقاد تتمثل في:"

- تمثل القارئ للحركة النفسية في العمل الأدبي
- استخراج البيت أو الأبيات –في الشعر- التي تتضمن الفكرة الرئيسية
- القدرة على اختيار أقرب الأبيات إلى بيت معين
- إدراك مدى أهمية الكلمة في العمل الأدبي
- إدراك الوحدة العضوية في العمل الأدبي وما بين أفكاره من ترابط
- القدرة على اختيار العنوان المعبر عن فكرة الأديب وأحاسيسه
- فهم درجة التواؤم بين التجربة والصياغة
- استنباط القيم والاتجاهات الشائعة في العمل الأدبي
- تخيل بعض الصور والشخصيات والأحداث والمناظر التي يصفها الأديب، والتعبير عنها".[٢٩]

وغيرها كثير من المهارات التي يتضح من خلالها أنها عبارة عن أنماط سلوكية لازمة يقوم بها التلاميذ بصورة تدريجية عند تعاملهم مع النصوص الأدبية الشعرية والنثرية.

يتضح إذن، أن التذوق الأدبي يكتسي أهمية بالغة، ويعتبر من الأدوات الرئيسية والمداخل الهامة لربط القارئ بجغرافية الأدب، ورسم مسارات إيجابية نحوها، لما يحتويه –أي التذوق الأدبي كما

[٢٨] – عصام علي مقداد: مستوى مهارات التذوق الأدبي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة لأساسية العليا، وعلاقته بالثقافة الإسلامية لديهم، بحث لنيل شهادة الماجستير، قسم المناهج وطرائق التدريس، بكلية التربية، فلسطين، غزة، ص: ٢٨-٢٩.

[٢٩] – رشدي طعيمة أحمد: وضع مقياس التذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية (فن الشعر) رسالة ماجستر كلية التربية جامعة عين شمس، ص:١٥٣.

رأينا- من مهارات تجعل من المتلقي أكثر نضجا ووعيا في كيفية التعامل مع النصوص الأدبية وفهمها، واستيعاب مضمونها الظاهر، ومكنونها المستتر، من هنا كان الاهتمام به وسبل تطويره لدى الكثير من المهتمين بالأدب وبالقارئ بشكل عام، على اعتبار الأدب أساس متين ولبنة حصينة في بناء الشخصية الناضجة، وتنميتها مهاريا وأسلوبيا، وإدراكا وتفكيرا وفهما، وتكوين روابط اجتماعية وثقافية قوية، فلا وجود للغة دون وجود زاد أدبي ومخزون موسوعي وافر، يساعد المتلقي على صقل قدراته التعبيرية، وتنمية كفاياته اللغوية التي تمكنه من استخدام اللغة بشكل سليم وعلى وجه أسلم.

المراجع

مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد، حسين حسن قطاني: في تذوق النص الأدبي دار الصفاء للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠.

بدر بن علي أحمد الخيري: تقويم نشاطات التعلم في مقرر لغتي الخالدة في ضوء مهارات التذوق الأدبي، بحث لنيل شهادة الماجستير في المناهج وطرق التدريس، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

عصام علي مقداد: مستوى مهارات التذوق الأدبي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة لأساسية العليا، وعلاقته بالثقافة الإسلامية لديهم، بحث لنيل شهادة الماجستير، قسم المناهج وطرائق التدريس، بكلية التربية، فلسطين

رشدي طعيمة أحمد: وضع مقياس التذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية (فن الشعر) رسالة ماجستير كلية التربية جامعة عين شمس

الزاوي التادلي: أي دور للمناهج التعليمية المغربية في تنمية الإبداع لدى المتعلم، حالة الابتدائي أنموذجا، مجلة علوم التربية، العدد٦٧، يناير ٢٠١٧ المغرب

عبد الكريم غريب: مستجدات التربية والتكوين، منشورات عالم التربية.

محمد الأوراغي: اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

عبد الكريم غريب، عبد اللطيف الفاربي. عبد العزيز الغرضاف.محمد أيت موحى معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، منشورات عالم التربية، سلسلة علوم التربية ٩-١٠، ٢٠٠١.

ألكسندر روشكا (١٩٨٩) الإبداع العم والخاص، عالم المعرفة، عدد١٤٤، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.

يوسف قطامي: تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه، عمان الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع ط١.

ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي طبيعته- نظرياته-مقوماته- معايير قياسه، دار الفكر عمان، الطبعة الثالثة ٢٠١١-١٤٣٢.

عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، الدار العربية للعلوم، ط١، ١٩٩٥م- ١٤١٦هـ

Arnold Bennett ; Literary Taste How to Form It With Detailed Instructions for Collecting a Complete Library of English Literature The University of Adelaide Library.